فضائل وأنوار

الصلاة والسلام على سيد الأنام ﷺ

بقلم
حسن محمد

دار الكتب
[illegible] التزويد

إيداع

دار الكتب
• إدارة التوريد •

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * إهـدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * آمين .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام النبيين . من انشقت عنه الأسرار وانفلقت الأنوار . سيدنا محمد النبي الأمى . وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد . فهذا بحث موجز ، أوضحت فيه ما استطعت من فضائل وأنوار الصلاة والسلام على سيد الأنام . ولست بمدع أنى وفيت البحث حقه . فإن فضائل وأنوار الصلاة والسلام على النبي الحبيب أعم وأعظم من أن يحتويها العديد من الأسفار لا كتيب صغير مثل هذا .

وما أرجوه من هذا البحث هو أن أضع بين يدى القارىء الكريم مفتاح باب الوصلة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وليس هناك من صلة بينك وبين رسول الله أكرم عند الله ورسوله من الصلاة والسلام على الحبيب المبعوث رحمة للعالمين .

وإنى أتوسل إلى الله تبارك وتعالى بحق حبه لرسوله وحبيبه وصفيه صلوات الله وسلامه عليه أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع . وأتوسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن أكون من أهل الحظوة عنده فيردفنى وراء ركابه . وأن أحظى بشفاعته وأكون أهلا لحبه فأكتب إن شاء الله فى ديوان أهل القربة (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)

والحمد لله رب العالمين .

حسن محمد الليثى

١٦ من ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ

الموافق الجمعة ١٥ مارس سنة ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

تعريف الصلاة على النبي ﷺ ٭ شرح الآية الكريمة التى يأمرنا فيها الله تبارك وتعالى بالصلاة والسلام على سيد الأنام ٭ "إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" ٭ أقوال بعض الأئمة فى تفسير هذه الآية .

قبل أن أدخل بك أيها الأخ الكريم فى موضوع الصلاة على النبي الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ، يجدر بى أولا أن أشرح معنى كلمة الصــــلاة .

فكلمة الصلاة فى اللغة تعنى الدعاء . كقوله تعالى « وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » أى وادع لهم فإن دعاءك رحمة لهم .

وفى اصطلاح الفقهاء إن الصلاة عبادة تشتمل على أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ، ومختتمة بالتسليم ، ولها شروط وأركان

وسنن ومكروهات ومبطلات . وهذه كلها مبينة فى كتب الفقه تفصيلا ويعرفها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وليس هذا البحث مجال شرحها .

والصلاة صلة بين العبد وربه .

أما الصلاة على النبي ﷺ المأمور بها فى قوله تعالى « يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » والتى هى موضوع هذا البحث فسنشرحها تفصيلا إن شاء الله تعالى .

∞ ∞ ∞

يختلف معنى الصلاة باختلاف مقام المصلى ودرجته وجنسه . فالصلاة من العبد لربه عبادة ودعاء وخضوع وخشوع وتحقيق لمعنى العبودية المطلقة منا لله الواحد القهار .

لكن الصلاة من الله عز وجل على عباده فإنها تعنى التعطف بالرحمة منه تبارك وتعالى على المؤمنين من خلقه . تحقيقا لقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا ، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما » . وهذه الصلاة من الله على المؤمنين الذاكرين المسبحين إن هى إلا فيض من رحمته تعالى

التى وسعت كل شىء والتى كتبها للذين يتقون واختص بها من يشاء من عباده .

أما الصلاة من الملائكة على المؤمنين فى قوله تعالى « هو الذى يصلى عليكم وملائكته » فتعنى أن الملائكة يطلبون المغفرة والرحمة من الله للذين آمنوا . يفسر ذلك قوله تعالى فى آية أخرى « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ۞ ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ۞ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » سورة غافر .

إذن فقد وضحت المعانى المختلفة لمفهوم الصلاة . فهى من العبد عبادة ، ومن الله فيض رحمة ، ومن الملائكة دعاء واستغفار للمؤمنين .

فإذا سمعنا قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى » كان مفهوم ذلك أن الله تبارك وتعالى قد غمر حبيبه وصفيه

صلوات الله وسلامه عليه بفيض رحمته وشرفه وأكرمه بذلك . وأن الملائكة يطلبون إلى الله زيادة التكريم له . وهنا إشارة جديرة بالنظر . وهى أن الآية الكريمة جاءت بصيغة الفعل المضارع (يصلون) ولم تأت بصيغة الفعل الماضى . أى أن الله وملائكته كانوا ولا يزالون يصلون على النبى دائما وأبدا . صلاة دائمة إلى ما شاء الله .

وللسادة الأئمة أقوال فى شرح هذه الآية الكريمة جديرة بالوعى . إذ أنها بمثابة المذكرات التفسيرية لدستور الصلاة على النبى ﷺ

وإليك أيها القارىء الكريم نفحات من أقوالهم : —

يقول الامام ابن عباس رضوان الله عنهما :

إن « يصلون على النبى » تعنى يباركون النبى ﷺ . وأن خلاصة ما ترمى إليه الآية الكريمة فى رأيه أن الله تعالى يبارك نبيه فى أموره كلها ويزيد فى قدره ، والملائكة يسألون الله طالبين الزيادة له فى ذلك .

ويقول أبو العاليه رضوان الله عليه « إن صلاة الله على النبى

تعنى الثناء الجميل على الرسول من الله تعالى ، وصلاة الملائكة تعنى الدعاء بزيادة الاكرام » .

ويقول الإمام الغزالى « إن صلاة الله تعالى على نبيه تعنى إفاضة الكرامات ولطائف النعم . أما صلاتنا وصلاة الملائكة فهى سؤال وابتهال إلى الله فى طلب تلك الكرامات » .

ويقول ابو القاسم القشيرى رضوان الله عليه « الصلاة من الله تعالى لمن هم دون النبى ﷺ رحمـــة . وللنبى ﷺ تشريف وزيادة تكرمه » .

∞ ∞ ∞ ∞

ننتقل بعد ذلك إلى شرح الشطر الثانى من الآية الكريمة وهو قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

فى قوله تعالى « صلوا عليه » أمر ربانى للذين آمنوا من أمة سيد الأنام بأن يكثروا من الصلاة عليه دائما وأبدا سواء ذكر أمامهم اسم النبى ﷺ أو لم يذكر .

أما قوله تعالى « وسلموا تسليما » فقد ذكر الفقهاء أنها تحمل معان ثلاثة :

الأول : أن يكون السلام والتسليم تحيـــة من الحبيب إلى الحبيب فيصبح ختم الصلاة على النبي بالتسليم تحية مباركة طيبة منك إليه صلوات الله وسلامه عليه .

الثاني : أن يكون السلام بمعنى طلب السلامة له صلوات الله وسلامه عليه من كل نقص فى الدنيا والآخرة . كما لو قلنا فى دبر كل صلاة « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » فإن كلمة السلام الأولى تعنى اللهم أنت المنزه عن كل نقص ، والثانية تعنى أنه منك الطمأنينة والسكينة تنزلها على قلوب المؤمنين من عبادك .

الثالث : أن يقصد بالتسليم الانقياد والمسالمة والطاعة منا للنبي ﷺ والمتابعة لسنته . لقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجـــدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » أى لا يجدوا فى صدورهم ضيقا مما حكمت ويذعنوا لما قضيت ويسلموا به دون جدل أو مراء .

وقد يجمع للتسليم كل هذه المعانى والإشارات معاً فى وقت واحد . فيكون تحية منك للحبيب المختار . وابتهالا إلى الله تعالى بطلب السلامة له فى الدارين ، وطاعة ومتابعة منك للرسول

صلوات الله وسلامه عليه ومن يطع الرسول فقد أطاع الله .

ولابن عطاء الله السكندرى إشارة جميلة فى موضوع السلام على النبي ﷺ . يقول رضوان الله عليه مامعناه إنك حينما تقول فى التشهد « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فإنك فى هذه الحالة لا تخاطب غائبا ، وإنما تهدى السلام إلى النبي ﷺ باعتباره حاضراً ، واستند ابن عطاء فى ذلك إلى أن العرب لا تقول « أيها الرجل » إلا حينما يكون المخاطب رجلا حاضرا أمامهم ، ولا يخاطبون الغائب بلفظة « أيها » أبدا . وهذا سر لا يفطن إليه إلا القليل .

الباب الثانى

المفهوم الصحيح للنور النبوى الكريم * فيوضات وأنوار الصلاة على النبي ﷺ * ماذا نكسب من الصلاة على النبي * بركات الصلاة على النبي * البركة فى العمر والرزق والمال والذرية .

قبل أن نبدأ فى سرد فيوضات وأنوار الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، سنقوم بإيضاح حقيقة المفهوم الصحيح للنور النبوى الكريم .

فالنور قسمان : حسى ومعنوى

الأول : نور حسى مادى نراه بحاسة البصر . وأعظمه ضوء الشمس . ومنه نور القمر والكهرباء والمصابيح .

والثانى : نور روحى معنوى يملأ القلوب المؤمنة . لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار لأنه قبس من نور الله عز وجل . ذلك هو الهدى واليقين . وشعلة الإيمان والتوحيد التى انتقلت من نبي إلى نبي حتى انتهت إلى سيد الخلق وأشرف المرسلين .

ونور نبينا صلوات الله وسلامه عليه ليس من القسم الأول ليس كنور الشمس والقمر . إنما هو نور روحي رباني يعمر القلوب المؤمنة الصافية المحبة لله ورسوله .

فالنور الحسي — وأداته العين — نرى به الأكوان وعجائب المخلوقات .

والنور الروحي ووعاؤه القلب ـ يصل بنا إلى الإيمان بخالق الأكوان ومالك الملك ذي الجلال والإكرام .

الأول نور البصر ∗ والثاني نور البصيرة
وعمى البصر أخف بلاء من عمى البصيرة .

وما عميت عيون الجاحدين عن الحق ولكن عميت قلوبهم التي في صدورهم .

ونور الهدى إذا سكن القلب كان كما وصفه النبي ﷺ بقوله : « إذا دخل النور القلب أنفسح وانشرح » قالوا وما علامة ذلك : قال « الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور . والاستعداد للموت قبل نزوله » .

وغني عن البيان أن أعظم نور حسي رأته أعيننا هو نور الشمس . ونور نبينا ليس كضوء الشمس أو كنور القمر كما يظن العامة . لكنه أشرف وأعظم . ذلك بأن النور الرباني المعنوي الذي

أفاضه ربنا تبارك وتعالى على نبينا صلوات الله وسلامه عليه وعلى الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين أرفع درجة وأجل خطراً لأنه إذا كان الله قد جعل ضوء الشمس سبباً للحياة على الأرض فقد شاءت حكمته تعالى أن يكون نور البصيرة وصفاء القلب هو الوسيلة إلى تلك المكرمة والدرجة الرفيعة التى فرقت بين الإيمان والكفر .

وهذا النور الربانى الذى فرق بين الحق والباطل أو بين الإيمان والكفر هو الذى يخبر عنه رب العزة فى محكم كتابه بقوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » أى أن الله يتولى الذين آمنوا برحمته فيخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الهدى والإيمان .

ونور الشمس الحسى يظهر لنا نهارا ويختفى ليلا . لكن نور الله تعالى ونور نبيه صلوات الله وسلامه عليه فى قلوب المؤمنين لا يخبو ولا تنطفىء شعلته فى ليل أو نهار ، والشمس يحجبها السحاب . أما نور الايمان فى قلوبنا فلا يحجبه سحاب ولا غير سحاب .

واعلم يا أخي أن كلا من النورين — الحسي والروحي من عند الله — سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء .

وبعد هذا الشرح الذي أوردناه لتبيان حقيقة النور النبوي الكريم وإيضاح مفهومه . نبدأ في سرد فيوضات وأنوار الصلاة والسلام على النبي ﷺ .

∞ ∞ ∞ ∞

إن أول نور ينفلق لمن عشق الصلاة على النبي ﷺ هو أن تصبح الصلاة على النبي شيخاً مرشداً له ونبراساً منيراً في طريق الوصول . وفي ذلك يقول الصوفية « الصلاة على النبي شيخ من لا شيخ له » . وقولهم حق .

والشيوخ كثير . ولكن الشيخ الواصل المرشد الأمين الذي يأخذ بيدك في الطريق إلى الله قليل . ووجوده أعز من الكبريت الأحمر كما يقول السهروردي .

والسالكون في طريق الله عز وجل لا بد لهم من مرشد يبصرهم بخفايا الطريق . فمن وفقه الله إلى شيخ كامل تقي ورع عالم بأحكام الشريعة وملم بأصول التصوف فقد أنعم الله عليه بالمرشد والدليل الصادق الذي يأخذ بيده . ومن لم يكن له مثل هذا الشيخ

فلا يحزن ولا يترك الطريق . فإن فى كثرة الصلاة والسلام على سيد الأنام الرشد والنور والهداية والعوض . فهى المنقذة له من الضلال .

ولا عجب فى أن تكون الصلاة على النبى ﷺ هى صلة الوصل إلى الله تعالى سواء بشيخ أو بغير شيخ . ذلك لأن السند فيها والعمدة هو صاحبها صلوات الله وسلامه عليه فهى تعرض عليه أولا فأول وهم على حق إذا قالوا لنا « الصلاة على النبى شيخ من لا شيخ له » .

وسواء وفقت إلى الشيخ الواصل . أو لم يكن لك شيخ . فلا محيص لك عن كثرة الصلاة والسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه . لأن الصلاة على النبى عوض عن الشيخ إذا افتقد . أما الشيخ فلا يغنى عن الصلاة على النبى ولو كان من الواصلين :

وقد شبه أقطاب الصوفية صلة الوصل فى الطريق إلى الله عز وجل بسلسلة متصلة الحلقات . وهذه الحلقات بعضها كبير

وبعضها دون ذلك . وكل شيخ واصل يمثل حلقة فى هذه السلسلة ، كل على قدر درجته . أما كبرى هذه الحلقات وماسكة عقدها فهى حلقة النبى ﷺ .

فإن أنت واظبت على الصلاة على النبى فقد استمسكت بالعروة الوثقى وتكون قد وضعت يدك فى أكبر وأشرف حلقة من السلسلة .

فاحفظ يا أخى هذا النص جيدا واجعله نصب عينيك دائما . وهو قولهم « الصلاة على النبى شيخ من لا شيخ له » . ولا تؤاخذنى إن كررته عليك مرة ومرة . وادخل على الله من باب حبيبه وصفيه . وذلك بالاكثار من الصلاة والسلام على النبى . فإنه أكرم وأحب باب إلى الله . ولله در الغزالى إذ يقول :

« وأنت باب الله أى امرىء أتاك من غيره لا يدخل »

∞ ∞ ∞ ∞

وللصلاة على النبى ﷺ بركات اهل أكرمها لك هى البركة فى العمر . والبركة فيما بقى لنا من العمر خير من طوله « فرب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده . ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده » كما يقول ابن عطاء . ومن بورك له فى عمره أدرك فى القليل من

الزمان ما لم يدركه غيره وإن طال به العمر .

وليست العبرة بطول العمر . وإنما العبرة بالبركة فيه . والعمر المبارك فيه هو ما قضيته فى طاعة الله . فساعة تقضيها فى ذكر الله أو فى تلاوة القرآن الكريم أو فى الصلاة على النبى خير من سنة غفلة . وما ضاع من أعمارنا فى الغفلة محسوب علينا ولكنه من نصيب الشيطان اختلسه منا ونحن لا ندرى .

وأشد الناس خيبة من ضيع فى الأوهام عمره . يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الأمانى . لكن الخسران المبين ألا يفىء المرء إلى نفسه ويرجع إلى ربه إلا عند عتبة الموت . فمن كان يرجو لقاء ربه ويطمع فى أن يبارك الله له فيما بقى من العمر . فليكثر فى هذه الحال من الصلاة على النبى ﷺ . وفى هذا المعنى يقول ابن عطاء رضوان الله عليه « من فاته كثرة الصيام والقيام فليشغل نفسه بالصلاة على النبى » .

وللصلاة على النبى بركات فى الدنيا والآخرة غير البركة فى العمر . أما بركتها فى الدنيا فتعم الرزق والمال والولد وتشمل ذريتك من بعدك جيلا بعد جيل . يقول حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه فى هذا المعنى « الصلاة على النبى تدرك الرجل

وولده وولد ولده ، أى أن بركتها تعم السلف والخلف على السواء . (١)

وأما فى الآخرة فهى سراجك فى الطريق إلى الجنة . يقول أبو هريره رضى الله عنه « الصلاة على النبى هى الطريق إلى الجنة » . وهى الوسيلة إلى الدرجات العلا عند رب العزة . يقول ﷺ : « من صلى على صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات » وفى رواية وكتب له عشر حسنات .

ومن بركاتها أنها وسيلة لتفريج الكرب إذا نزلت وكاشفة للهم إذا حل . وكم فى الحياة من هموم . ليس لها من دون الله كاشف .

وبقدر كثرة الصلاة على النبى والإخلاص فى المودة لصاحبها صلوات الله وسلامه عليه تكون الامداد وتكون البركات . فعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم كما

---

(١) حذيفة بن اليمان هو الصحابى الجليل والقائد الذى امتدت على يديه الفتوح الإسلامية حتى بلغت سمرقند . وهو أول من أشار على عثمان ابن عفان رضى الله عنه بكتابة المصاحف وجمع القرآن الكريم .

يقولون . والمحبة تولد المحبة . ومن بادر بالتحية ردت إليه بمثلها أو بأحسن منها . يروى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت جبريل فقال لى : من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه » .

∞ ∞ ∞ ∞

والصلاة على النبي تجارة رابحة فى الدنيا والآخرة . ومن مكاسبها أنها تجعل الدعاء مستجاباً . وكلنا يحب أن يكون مجاب الدعوة عند الله . ولقد كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه يستعيذ بالله من الدعوة التى يقفل دونها باب القبول فكان يدعو الله بقوله « اللهم انى أعوذ بك من دعوة لا تقبل » وأولى بنا أن نتأسى به ونخشى أن ترد دعواتنا .

وكلنا فقير إلى الله فى كل شىء . والله الغنى ونحن الفقراء . ومن صحة العبودية أن نلجأ اليه تعالى فى أمورنا كلها حتى لا نوكل إلى أنفسنا أو إلى الناس .

---

(١) شرح — عجبت فى هذا الحديث الشريف . لم تقدم السلام على الصلاة . ويبدو لى أن ذلك سببه أن السلام على النبي فى التشهد يسبق الصلاة عليه وأن هذا الحديث مرتبط بالتشهد .

وإذا كان الدعاء مخ العبادة كما ورد عن النبي ﷺ . فواجب علينا أن نعرف الطريقة المثـــلى التي تجعل دعاءنا مقبولا لا يرد . وامثل طريقة لذلك أن تجعل دعوتك بين صلاتين على النبي ﷺ .

وتفصيل ذلك أنك تبدأ أولا بالصلاة على النبي . ثم ادع الله بما شئت من خير [1] ثم اختم دعاءك بالصلاة على النبي . فإذا كانت الملائكة ترفع الصلاة على النبي الأولى والثانية ودعوتك بينهما . وربنا عز وجل لا يرد الصلاة على النبي . فإن ذلك يعني أن دعوتك سترفع إلى الله مشفوعة بصلاتين على أحب الخلق اليه . وربنا أكرم من يسقط أو يرفض الدعوة التي بين الصلاتين على حبيبه .

روى القاضي عياض * عن ابن عطاء أن الدعاء أركان واجنحة وأوقات وأسباب .

فإن وافق أركانه قوى — وإن وافق اجنحته طار — وإن وافق مواقيته فاز — وإن وافق أسبابه نجح .

---

(١) تقييد الدعاء بعبـارة « بما شئت من خير » امتثالا لقوله صلى الله عليـه وسلم « لا تدعوا إلا بخير فإن الملائـكة يؤمنون على ما تقولون »

فأركانه : حضور القلب بالله . والرقة . والاستكانة . والخشوع . وتعلق القلب بالله . وقطعه من الأسباب .

وأجنحته الصدق (يقصد صدق الاتجاه إلى الله تعالى) .

ومواقيته الاسحار (وإن كان الدعاء غير مقيد بزمان) .

وأسبابه (أى من أسباب القبول له) الصلاة على النبي ﷺ .

٥٥ ٥٥ ٥٥ ٥٥

والصلاة على النبي تمحو الذنوب وترفع الأوزار . وهى لا تزال بك رويداً رويداً حتى تطهرك من خطاياك وتخرج بك من ذل المعصية إلى عز الطاعة مأجورا نقياً كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . يقول أبو بكر الصديق رضوان الله عليه « الصلاة على النبي أمحق للذنوب من الماء البارد للنار » وليس أحب إلى الانسان يوم الفزع الأكبر من أن يباعد بينه وبين ذنوبه « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود . لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » وكثرة الصـــلاة على النبي ترفع عنك هذا العبء .

---

* القـاضى عياض هو أبو الفضل عياض موسى بن عياض بن عمرون الاندلسى الأصل . ولد سنة ٤٩٦ هـ وتوفى سنة ٥٤٤ هـ وأشهر مؤلفاته كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » .

وكلنا خطاء كما يقول النبي ﷺ «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون». فإذا كانت الخطيئة هي الداء كان الدواء فى التوبة والندم والاستغفار وكثرة الصلاة والسلام على سيد الأنام. ولذلك نرى شيوخ الطريق العارفين يأمرون المريدين فى بدء عهدهم بالتصوف أن يكثروا من الصلاة على النبي، ولا غرابة فى ذلك. فإن المريد فى أول الطريق غالباً ما يكون حديث عهد بالتوبة ولم ترسخ قدمه فى هذا المقام بعد. وليس أنفع له فى هذه الحال من الإكثار من الصلاه والسلام على رسول الله. فهى مع الاستغفار خير ماح لذنوبه مما كان قبل التوبة والانابة إلى الله.

ولا يعنى ذلك أن الصلاة على النبي تنفع أهل البداية فقط. إنما هى نور فى البدء ونور فى المنتهى. وكلما أكثرت وأخلصت فى صلاتك عليه صلوات الله وسلامه عليه كان حظك من النور أكمل ومددك أعظم، ومن سار على الدرب مسترشداً بنور النبوة من أول الطريق إلى آخره وصل. ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته.

٥٥ ٥٥ ٥٥ ٥٥

والصلاة على النبي ﷺ لها صيغ كثيرة . سنورد القليل منها في هذا البحث اتماما للفائدة المرجوة منه . وهذه الصيغ نذكرها على سبيل المثال لا الحصر .

وأشهر هذه الصيغ هي الصيغة التي يختتم بها التشهد الأخير في الصلاة والتي نعرفها جميعاً وهي « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد » . وتسمى هذه الصيغة عند الفقهاء بالصلاة الابراهيمية لاقتران اسم ابراهيم عليه السلام بها . وقد ورد عنها أحاديث كثيرة صحيحة تؤكدها .

وعند الشافعي رضوان الله عليه أن الصلاة على النبي في التشهد الأخير بالصيغة السابقة ركن من أركان الصلاة . سواء في الفرائض أو النوافل . فمن أسقط الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير عامداً بطلت صلاته ووجبت عليه الإعادة لسقوط ركن من أركانها عمداً . كما أن الصلاة على النبي ﷺ ركن من أركان خطبة الجمعة والعيدين بإجماع الأئمة .

ومن الصيغ المعروفة « اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الذاكرون » .

ومنها « اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم » .

ومنها « اللهم صل على سيدنا محمد النور (١) وعلى آله وصحبه وسلم .

ومنها « اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد صلاة تنحل بها العقد وتنفرج بها الكرب وتقضى بها الحوائج وتنال بها الرغائب وحسن الخواتم ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه فى كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك » وهذه الصيغة يسميها أهل المغرب بالصلاة النارية لأن من داوم عليها فى رأيهم وقصد بها وجـــه الله لقضاء حاجة نال مطلوبه سريعا

(١) من صفاته صلوات الله وسلامه عليه أنه نور . يقول تعالى « لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » قال المفسرون بأن النـور فى هذه الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب المبين هو القرآن الكريم .

وسموها النارية لأن أثرها كفعل النار فى الهشيم فى اعتقادهم .
ويسمى القرطبى هذه الصيغة بالصلاة التفريجية لأن فى المداومة عليها تفريج الكرب والهموم .

وهناك صيغ أخرى أكثر من أن يحصرها عدد . حتى لقد قيل أن صيغ الصلاة على النبى يزيد عددها على عشرة آلاف .
فلكل فرقة ولكل جماعة ولكل قطر مذهبه فى هذه الناحية .
والمراجع التى تزخر بصيغ الصلاة على النبى ملء المكتبات : ولست بمفضل صيغة على أخرى فكل خير . فصل على النبى بأى صيغة شئت :

○○ ○○ ○○ ○○

وهناك مواضع وأحوال تسن فيها الصلاة على النبى وتستحب . وهذه المواضع ذكرها الإمام العسقلانى باسهاب وهى :

أول الدعاء وأوسطه وآخره ٭ وأوله آكد ٭ وآخره القنوت ٭ وفى تكبيرات العيدين ٭ وعند دخول المسجد والخروج منه ٭ وعند الاجتماع والتفرق ٭ وعند السفر والقدوم ٭ وعند القيام لصلاة الليل ٭ وعند ختم القرآن الكريم ٭ وعند الكرب والغم ٭ وخشية وقوع العقوبة ٭ وعند قراءة الحديث وتبليغ العلم والدرس

وعند بدء الذكر ٭ وعند نسيان شيء ٭ وعند الطواف ٭ وعند طنين الاذن ٭ وعقب الوضوء .

والصلاة على النبي ﷺ فى المواضع السابقة التى ذكرها العسقلانى سنن مستحبة وليست بفرض من صلى فيها على النبي أثيب على ذلك ومن لم يفعل فلا إثم عليه .

ويستحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ فى يوم الجمعة وليلته . يقول إمامنا الشافعى رضوان الله عليه « أحب كثرة الصلاة على النبي ﷺ فى كل حال . وأنا فى يوم الجمعة وليلته أشد استحباباً » وهى واجبة على كل مسلم كلما ذكر اسمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه لقوله فى الحديث « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » .

○○ ○○ ○○ ○○

وهناك مواضع لا تجوز فيها الصلاة على النبي ﷺ تكريماً لها وتأدباً . فكما أنه لا يجوز ذكر اسم الله على محرم كذلك لا يجوز أن يصلى على النبي فى محرم . ولكن مما يؤسف له أن نسمع الكثيرين ممن لا خلاق لهم يصلون على النبي ﷺ فى مواضع لا تليق بكرامتها . فمن ذلك أن يرى أحدهم امرأة خليعة متبرجة

فيغازلها بالصلاة على النبي . وأحياناً يحاول بعض الباعة غش المشترين أو يخسرون الكيل والميزان حتى إذا اعترض عليهم معترض أسكته البائع بالصلاة على النبي . وهؤلاء وأمثالهم ينزلون بالصلاة على النبي من عليائها إلى ما لا يليق بها . وما هكذا تكون الصلاة على النبي .

∞ ∞ ∞ ∞

الباب الرابع

جواز الصلاة على النبي على غير طهر وعلى أية حال ٭ تقديم لفظ السيادة قبل اسمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه ٭ المواظبة شرط لمن عشق الصلاة على النبي ٭ صل على النبي في الوقت والمكان الذي يناسبك ولا تضيع عمرك عبثاً ٭ حقيقة الرباط ٭ جواز الصلاة على الأنبياء أجمعين .

والصلاة على النبي جائزة على أية حال من الطهارة وفي أي وضع من الأوضاع .

فهي جائزة على غير طهر . وحكمها في ذلك حكم ذكر الله تعالى . فيجوز لمن أراد أن يذكر الله أو يصلي على النبي ﷺ أن يفعل ذلك على غير وضوء . بل يجوز للجنب وللحائض والنفساء أن تصلي على النبي وأن تذكر الله على غير طهر . وهذا رحمة من ربي . لأن الحائض والنفساء منعتا الصلاة والصيام ويحرم عليهما تلاوة القرآن في المصحف أو عن ظهر قلب . والجنب كذلك ذكراً كان أو أنثى . فلم يبق للحائض أو النفساء من عبادة تتقرب بها

إلى الله تعالى سوى ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله .

وهى جائزة على أى وضع . فلا يشترط فيها قيام أو قعود أو استقبال للقبلة . إنما لك أن تصلى على النبى فى أى وضع قائماً أو قاعداً أو راقداً أو سائراً فى الطريق أو راكباً وحكمها فى ذلك حكم الذكر أيضاً . لقوله تعالى « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ٭ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ٭ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

∞ ∞ ∞ ∞

ومن آداب الصلاة على النبى ﷺ أن يقدم لفظ السيادة على اسمه الشريف . وذلك خارج الصلاة . أما فى التشهد الأخير من الصلاة فقد قال الفقهاء بأن الأرجح أن تكون الصلاة على النبى فيه بغير لفظ السيادة . لقوله صلوات الله وسلامه عليه « لا تسيدونى فى الصلاة » وكذلك فى الآذان . ومع ذلك فلا تثريب عليك إن أنت قدمت لفظ السيادة قبل اسم النبى فى الصلاة :

أما الذين يقولون بغير ذلك ويريدون تجريد اسم النبى الكريم من كل مظاهر السيادة والتكريم داخل الصلاة وخارجها فهم قوم

مغرورون . وحسبك من غرورهم أن الواحد منهم إذا ناديته باسمه هاربا عن لقب أستاذ أو سيد غضب منك وظن بك أنك تنتقص من قدره العظيم . وأين قدره من قدر سيد المرسلين وإمام النبيين . ولو أنه أراد لنفسه السيادة وسمح بها لمن هم أرفع درجات ودرجات لتركناه ينفخ فى أوداجه كيف يشاء . ولكنه يريد السيادة لنفسه والتجريد منها لمن أعـزه الله وجعله سيد الأولين والآخرين . ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

OO OO OO OO

واعلم يا أخى أن العلم بفضائل الصلاة على النبى الحبيب وحده لا يكفى . إذ أنه لابد وأن يقترن العلم بالعمل . وأن يقترن العمل بالمواظبة . فالعلم بغير عمل كالشجرة بغير ثمر . والعمل بغير مواظبة كالنور المتقطع يضىء ساعة ثم يتركك فى الظلمات ساعات . وفقنى الله وإياك إلى المواظبة على صالح الأعمال .

ولا تصغرن فى عينيك تلك الدقائق القليلة التى تواظب فيها كل يوم على الصلاة على النبى . فالقليل على القليل كثير . والقليل خير من العدم . وقد أمرنا ﷺ بالمواظبة وحثنا عليها فى قوله « خير الأعمال ما داوم عليه صاحبه وإن قل » والمواظبة فى أبسط

مظاهرها مداومة . وربنا شكور . يقبل منا القليل من العمل الصالح ويضاعفه لنا . ويعفو عن كثير مما نقترف من ذنوب وآثام .

وإياك أن تقول ليس عندى وقت لذكر الله أو ليس لدى فراغ للصلاة على النبي ﷺ فالوقت عندك طويل . صحيح أن ما يشغلك كثير . ولكنك تضيع الساعات تتسلى فيها بقراءة الصحف . أو تلعب النرد . وتمضى أكثر وقتك فى القيل والقال وفى المزاح . حتى إذا أمرت بما ينفعك . ونصحك ناصح أمين بأن تتلو القرآن أو تذكر الله أو تصلى على النبي اعتذرت بضيق الوقت . مع أن الوقت وفير والعمر واسع . ولكننا نضيعه فيما لا فائدة فيه .

ولا تركب الصعب فى طريقك إلى الله . بل أقدم عليه طائعاً من أيسر السبل . ولست آمرك بجوع أو عرى . ولا أشير عليك بأن تنقطع عن الدنيا . ولا أقول لك اهجر زوجك أو تجرد من مالك . ان كل ما أسعى بك اليه هو أن تواظب على ذكر الله وعلى الصلاة على النبي ولو ساعة أو بعض ساعة من كل يوم . ويكون ذلك فى الوقت الذى تختاره أنت وفى المكان الذى يروقك

وعلى الحال التي تحلو لك . ما عليك من حرج .

واجتهد فى أن تكثر من الذكر والتلاوة ومن الصلاة على النبي ﷺ فى الفترات التي يكون صـــدرك فيها منشرحاً والنفس مقبلة . ولست أقصد بذلك أن تمتنع عن الذكر أو عن الصلاة على النبي إذا كنت فى ضيق أو هم . وإنما أقصد أن تمضى أسعد أوقاتك حين تكون النفس منبسطه مع الله ذاكراً ومع حبيبه وصفيه مصلياً ومسلماً عليه .

واغتنم فرص فراغك من الشواغل واملأ فراغك بالصلاة على النبي أو بالذكر . ولا تجعل من فراغك مضيعة لعمرك فتكن من أولئك الذين رخصت عليهم أعمارهم وهانت فباعوا الشطر الأكبر من حياتهم وأطيب أوقاتهم للشيطان ينهب من أعمارهم كيف يشاء فأضاعوا العمر فى الغفلة . لا دنيا كسبوا ولا آخرة وذلك هو الخسران المبين .

واعلم أن ما ضاع من أعمارنا فلا عوض له . إن المال غاد ورائح . ولكن اليوم الذى ينقضى من عمرى وعمرك لا يعود إلى يوم القيامة . فرتب لنفسك كل يوم ورداً ووقتاً تصلى فيه على

النبي وتذكر الله واغتنم الغدوة والروحة كما يقول ﷺ ولا تكن ممن قال فيهم صلوات الله وسلامه عليه « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الفراغ والصحة » .

٥٥ ٥٥ ٥٥ ٥٥

ومع المواظبة والمثابرة تصبح الصلاة على النبي ﷺ تجارة رابحة لك ، وهي تجارة ليست بحاجة إلى مال ولا عمال ولا شركاء إنما رأس مالها الإيمان بالله ورسوله . وعمالها قلب محب ولسان لا يفتر . فإن أنت أخلصت وثابرت فلا بد وأن تكتب يوماً من أهل الوصله ومن ثابر على الحفر نبع له الماء .

وكثرة الصلاة على النبي مع المواظبة عليها دليل المحبة له صلوات الله وسلامه عليه . وهي وإن لم تكن الدليل الفرد على هذه المحبة إلا أنها أثبت ركن من أركانها بل هي جوهرها ولبها .

والمتابعة لرسول الله ﷺ ركن ثان من أركان المحبة له . والمتابعة له صلوات الله وسلامه عليه فضلا عن كونها تجعلك حبيباً لرسول الله فهي تجعلك حبيباً لله تبارك وتعالى « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »
(سورة آل عمران)

فإذا أنت جمعت بين المواظبة على الصلاة على النبي وبين المتابعة له صلوات الله وسلامه عليه كنت حبيباً حقاً . وبغير ذلك يكون أدعاؤك المحبة لرسول الله قولا باللسان تعوزه الحجة وينقصه الدليل والبرهان .

وعابث من يدعى المحبة للنبي ﷺ دون أن يبتغى اليها الوسيلة . ومثله كمن يبتغى الرى بغير ماء أو الشبع بغير طعام وهيهات . وما الوسيلة إلا كثرة الصلاة والسلام عليه والمتابعة له .

∞ ∞ ∞ ∞

ولو لم يكن للصلاة على النبي من حسنة سوى أنها هدية من الحبيب إلى الحبيب لكفى . لكن أفضالها أعم وأكبر من أن يجمعها مثل هذا البحث المتواضع . وما تكسبه أنت من أجر وثواب ، وما يلحقك من شرف ، وما يفتح به عليك من بركات بسبب كثرة الصلاة على النبي لتزيد كثيراً على ما يناله منها النبي ﷺ . فهو صلوات الله وسلامه عليه قد شرفه ربه وأكرمه ورفع له ذكره . وجعله سيد المرسلين وأمام النبيين وخاتمهم . وأرسله رحمة للعالمين . أما أنا وأما أنت فنهاية الارب عندنا أن يتفضل علينا ربنا فيلحقنا بركابه ويحشرنا فى زمرة أحبابه وأتباعه وأن نحظى بشفاعته صلوات الله وسلامه عليه .

فإن أنت اهديت النبي ﷺ صلاة ردت اليك هديتك بما يعود عليك بخيري الدنيا والآخرة . سترد اليك الهدية نوراً فى سمعك وبصرك وقلبك وتصبح ممن يسيرون فى نور النبراس النبوى الذى لن يخبو له نور إلى قيام الساعة بل وإلى ما بعد قيام الساعة ذلك النبراس الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » . واستبشر خيراً ببيعك الذى بايعت « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً » .

ولكنك لن تكون أهلا لنور السراج النبوى الكريم حتى تكون من أهل المثابره على كثرة الصلاة على النبي . ولا يضيق صدرك بالمثابرة . فهى سر النجاح ومركب الوصول فى كل عمل دنيوى أو أخروى بغير استثناء . وكل عمل بغير مثابرة إن هو إلا جهد مبعثر وكد ضائع لا يأتى بثمر . فالعالم لن يصل إلى مرتبة العلماء إذا اسقط ركن المثابرة والعابد كذلك . ولولا المثابرة لما قام فى الأرض بناء ولا زكا زرع ولا تربى ولد .

وبالمثابرة تصبح الصلاة على النبي رباطاً بينك وبينه صلوات الله وسلامه عليه . وهو رباط لا تنفصم عراه طالما أنت على العهد لا تنكثه .

والرباط أو المرابطة أنواع :

* رباط مع الله تعالى على طاعته ، وأن تعبده لا تشرك به شيئاً ، وأن تكثر من ذكره .

* ورباط مع رسوله صلوات الله وسلامه عليه على المتابعة له وأن تكثر من الصلاة والسلام عليه .

* ورباط مع الصالحين على الاقتـــداء بهم وحسن الصحبة لهم .

* ورباط مع الموت على انتظاره ودوام تذكره والعمل لما بعده .

* ورباط مع الحق ألا نحيد عنه إلى الباطل .

أما الرباط أو المرابطه على الثغور والحدود لصد غائلة أعداء البلاد فأمر معروف .

والمؤمن دائما وفى كل أحواله من أهل الرباط .

∞ ∞ ∞ ∞

وهنا مسألة :

هل يلزم لمن يصلى على النبي ﷺ أن يكون عالماً بأسرار الصلاة عليه وفضائلها وأنوارها حتى تلحقه بركاتها وتعمه أنوارها ؟

والجواب على ذلك لا يلزم .

فإن الصلاة على النبي ﷺ أشبه باللبن الخالص أو العسل المصفى إذا طعمته دون أن تعلم شيئاً عن تركيبه العلمى أفدت منه ولا شك ولا ينتقص من مزاياه شيء إنك جاهل بالتركيب .

ولكننا إذا ولجنا باب التفاضل وسعينا جرياً وراء الكمال ننشده : لقلنا بأن الذى يصلى على النبي ﷺ وهو عالم بأنوارها وأسرارها وفضائلها أخير ممن يصلى عليه دون علم بذلك ، ولكل درجات عند ربهم ، .

ومسألة أخرى :

ما الفرق بين فيوضات الصلاة على النبي ﷺ وبين فيوضات ذكر الله ؟

وللإجابة على ذلك نقول بأن الصلاة على النبي مرشد ودليل

أما الذكر فهو المركب الذى يحملك فى الطريق إلى الله . وكلاهما يكمل الآخر . وليس لسالك الطريق إلى الله غنى عن أحدهما . هما كاليدين لا تستغنى إحداهما عن الأخرى وتعينها فى كل ما تفعل فالمركب لا غنى له عن مرشد . والمرشد بغير مركب لا يصل بك فاجعل من الذكر سفينتك ومن الصلاة على النبي سراجك تصل إلى بر السلامة راضيا مرضيا عنك بإذن الله . واحذر الغفلة فى كل أحوالك . فإن الغفلة عن ذكر الله وعن الصلاة والسلام على سيد الأنام أشد من الموت . فالموت انقطاع عن الدنيا أما الغفلة فانقطاع عن الحق تبارك وتعالى .

ومسألة ثالثة :

هى هل تجوز الصلاة على غير النبي ﷺ من الأنبياء والمرسلين

والاجابة أن الفقهاء أجازوا الصلاة والسلام على الأنبياء والرسل الكرام أجمعين وإن خالفهم البعض فى ذلك . ولكن الاجازة أرجح بالإجماع .

∞ ∞ ∞ ∞

الباب الخامس

إنا أعطيناك الكوثر * الصلاة على النبي خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان * وهى شفاء للنفس من كل داء * وهى تزكية لمن أراد أن يتزكى * حصن الأمان . قرة العين .

« إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر » صدق الله العظيم .

لقد أعطاه ربه الكوثر . ولم يعطه لأحد غيره من العالمين .

فإن كان الكوثر نهراً فى الجنة كما يقول بعض المفسرين فأكثر من الصلاة والسلام على سيد الأنام تكن من الواردين له .

وإن كان الكوثر هو حوض النبي ﷺ فى الجنـة . فاعلم أن جواز المرور إلى هـذا الحوض الاصفى هو أن تكثر من الصلاة والسلام على صاحبه .

وإن كان الكوثر هو الشفاعة العظمى . كما قال بعض الأئمة — فلن نكون أهلا لشفاعته حتى تكون ألسنتنا رطبة بكثرة الصلاة والسلام عليه .

أو إن كان الكوثر هو ما أنعم الله به على حبيبه وصفيه صلوات الله وسلامه عليه من فيوضات الحكمة الربانية والوحى القرآنى بما لم يصل إليه بشر غيره . فانهل من هذا الكوثر قدر طاقتك . وعب منه ، غرفا من البحر أو رشفاً من الديم . ولن يكون لك ذلك حتى تكثر من الصلاة والسلام عليه .

أما إذا كان الكوثر هو ذلك الفيض العظيم والخير العميم الذى فتح الله به على نبينا صلوات الله وسلامه عليه فى الدنيا والآخرة (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) فاضمن لنفسك سهماً وإن صغر من هذا الفيض الربانى والمورد النبوى بأن تربط أواصر المودة بينك وبين رسول الله ﷺ بكثرة الصلاة والسلام عليه .

وأياً كان الكوثر . نهراً أو حوضاً فى الجنة . أو شفاعة يوم الفزع الأكبر . أو حكمة وفيضاً وفتحاً ربانياً — فلا تحرم نفسك من أن ترد المنهل العذب . ولا تكن قتوراً فى صلاتك على

الحبيب . فتكن من أولئك الذين لا يصلون عليه إلا حين يذكر اسمه الشريف أمامهم بل صل عليه وسلم فى كل حين وآن . واجعل لنفسك ورداً مرتباً فى كل يوم تصلى فيه على الذى وصفه ربه فى محكم كتابه بقوله « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »

إن شانئك هو الابتر . إن كارهك ومبغضك هو الأبتر . هو المقطوع عن رحمة الله . إن كارهك وكاره الصلاة عليك يا سيدى يا رسول الله هو الأبتر المقطوع عن رضا الله والناس والملائكة أجمعين .

∞ ∞ ∞ ∞

إن الصلاة على النبى لا تثقل إلا على لسان شقى . ولا يجحدها إلا من كان طريداً من رحمة الله عصيا . أما أهل السعادة فقد شرح الله صدورهم وحل عقدة السنتهم وأعانهم بعون من عنده على ذكره وشكره وحسن عبادته . فلا يثقل على أهل الفلاح ذكر أو تلاوة أو صلاة على النبى . إنما يثقل عليهم القيل والقال ولغو الحديث وعثرات اللسان . واللسان فى كل أحواله ترجمان لحضرة القلب فمن صفا قلبه لحب الله ورسوله والمؤمنين انطق الله لسانه

بذكره وبالصلاة على نبيـــه وييسر عليه تلاوة كتابه . وأما من اسود قلبه وطمست عين بصيرته فهو شقى الدارين « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيـــامة أعمى » .

والصـلاة على النبي ﷺ بقدر ما هى خفيفة على اللسـان فهى ثقيـلة فى الميزان ؛ حبيبـة إلى الرحمن وهى نعم الزاد لمن أراد أن يتزود . ونعم القربة لمن أراد أن يتقرب . ومن فتح له فيهـا فليتقدم شاكراً لله أنعمه . مشكوراً من الله . فإذا فتح لك البـاب فلج ، لأنك لا تدرى متى يغلق عليك .

وبكثرة الذكر والصلاة على النبي تكون الدرجات . وبقـدر الإخلاص فيهما تكون القربات . والروح الإنسانية ترقى فى معراج الصالحين بقدر إخلاص صاحبها فى العبـادة . والإنسان إذا ارتقى كان مع المقربين . وإذا ارتد إلى أســـفل سافلين كان كالأنعام بل هو أضل . وأن العبـد ليصل بطاعته إلى الجنـة ؛ ويصل بأدبه فى طاعتـــه إلى القـرب من الله عز وجل كما يقول أهل الذكر .

والقرب من الله ليس قرب مكان . والوصول اليه عز وجل لا يعنى وصولا إلى ذاته كما ذكرنا ذلك فى غير هذا المجـال . إنمـا

القرب قرب محبة ومودة « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً » . والوصول يعنى أن تصل إلى رضوانه ورحمته « ورضوان من الله أكبر » . وإلا فتعالى ربنا عن أن يتصل بشىء أو أن يتصل به شىء كما يقول ابن عطاء رضوان الله عليه .

∞ ∞ ∞ ∞

وتلاوة القرآن مع الصلاة على النبىء ﷺ هى الشفاء من كل داء ، وهى الفلاح لمن تزكى .

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » .

والشفاء هنا ليس من العلل وأمراض الجسم فقد تكفل الطب والأطباء قديماً وحديثاً بذلك . ومن قال بأن القرآن أو الصلاة على النبي تغنيان عن الجراحة وعن الطب والدواء فقد أسقط الأسباب واخطأ فهم سنة الله فى خلقه .

إنما قد جعل من القرآن الكريم شفاء لما فى القلوب من زيغ ولما فى النفوس من نزوات . وإذا كان فى كتاب الله الشفاء من كل داء فى النفس . فإن كثرة الصلاة على النبي ﷺ هى الترياق المساعد

على تقويم النفس إذا انحرفت وتصفية القلب من شوائب الغل والحسد والكبر وغيرها مما ينزغ به الشيطان ليصدنا عن ذكر الله وعن الطريق المستقيم . وما جعل الله للقلوب من دواء أفضل من تلاوة كتابه وذكره والصلاة على نبيه . « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »

سورة يونس

وغنى عن البيان أنه ليس ثمة ما يمنع من التوسل إلى الله عز وجل بحق القرآن الكريم وببركة الصلاة على النبي أن يشفينا من كل داء وأن يعافنا من كل بلاء وأن يهبنا الصحة والعافية دون أن نسقط من حسابنا وسائل العلاج العلمية فى الطب والدواء .

والصلاة على النبي ﷺ تزكية لمن أراد أن يتزكى . « قد أفلح من تزكى » وهى تزكية للمصلى قبل كل شيء . لأنه صلوات الله وسلامه عليه قد زكاه ربه وأثنى عليه فى محكم التنزيل فى كثير من الآيات . فزكى نطقه بقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » وزكى فؤاده فقال « ما كذب الفؤاد ما رأى » . وزكى بصره فقال « ما زاغ البصر وما طغى » . وأثنى عليه جملة فى قوله تعالى « وإنك لعلى خلق عظيم » .

○○ ○○ ○○ ○○

حصن الأمان

يقول ﷺ « أنزل الله على أمانين لأمتى » وتلا قوله تعالى « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ثم قال « فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار » .

ويقول القاضى عياض أن الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش . وما دامت سنته باقية فهو باق . فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن .

فما دامت سنته باقية بيننا . وما دامت ألسنتنا رطبة بكثرة الصلاة والسلام عليه فإن روحه الشريفة ستكون ماثلة لنا تباركنا فى كل حين وآن تأخذ بيدنا إلى حصن الأمان .

وقد أول بعض العلماء قوله ﷺ « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » إن الصلاة هنا تعنى صلاة الله والملائكة عليه . وأمر الأمة بذلك فى قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

ولكن هذا القول لا ينفى المعنى الذى جرى عليه جمهور العلماء فى تأويلهم للحديث الشريف « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » أى فى الصلاة المعروفة إنما بفرائضها ونوافلها والتى افترضها الله علينا وتعبدنا بها فى قوله تعالى « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »

∞ ∞ ∞ ∞

مسك الختام

وأخيراً يا أخى الكريم . إنى تاركك وشأنك . وقد وضعت فى يدك مفتاح بركات وأنوار الصلاة والسلام على سيد الأنام . ولست بمدع أنى وفيت البحث حقه . وما أظنك قد ضقت بى ذرعاً . فما أثقلت عليك وما أطلت . فاقرع الباب يفتح لك . وشمر عن ساعد الجد من اليوم . وقل اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . ولا تقل غداً أبداً . فالغد غيب علمه عند علام الغيوب . ورحم الله الغزالى إذ يقول « من أمسى وهو يأمل أن يصبح وأصبح وهو يأمل أن يمسى فلا يخلو من الفتور والتسويف »

ولا تنسب يا أخى إلى نفسك — ولست أنسب إلى نفسى — فضلا فى طاعة أو عبادة فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده من يهد الله فهـــو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليـاً مرشداً . وقل رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

تم بحمد الله .

حسن محمد اللبنى

دار الكتب
إدارة التزويد